الوسائط التكنولوجية وتحولات أنماط التنشئة الأسرية: تفكك المرجعيات القيمية التقليدية

Technological Media and the Transformations of Family Socialization Patterns: The Breakdown of Traditional Value References

أصالة بوعلي*
طالبة دكتوراه، جامعة 8 ماي 1945- قالمة
مخبر التحديات الديموغرافية بالجزائر
Bouali Assala
PhD student, Algerian Demographic Challenges Laboratory
University of May 8, 1945 - Guelma
bouali.assala@univ-guelma.dz

خالد بوشارب بولوداني
أستاذ، جامعة 8 ماي 1945- قالمة
مخبر الفلسفة والدراسات الإنسانية والاجتماعية ومشكلات الإعلام والاتصال
Bouchareb bouloudani khaled
Philosophy, Humanities, Social Studies, and Media and Communication Problems Laboratory
University of May 8, 1945 - Guelma
Bouchareb.khaled@univ-guelma.dz

تاريخ الاستلام: 2025/07/06 تاريخ القبول: 2025/10/06 تاريخ النشر: 2025/12/07

- **الملخص:** ترصد هذه الدراسة التحولات العميقة التي فرضها الحضور المكثف للوسائط التكنولوجية في الحياة اليومية للأطفال، مركّزة على ما أحدثته من تغييرات في مسارات التنشئة الاجتماعية ضمن الفضاء الأسري. وتسعى إلى تفكيك التأثيرات غير المباشرة للتكنولوجيا الحديثة على العلاقة التربوية بين الأجيال، من خلال تتبع مظاهر التبدل في أساليب التوجيه، وحدود التأثير الأبوي في مقابل التفاعل مع المحتوى الرقمي. وقد أظهرت المعطيات أن تنامي استخدام الوسائط التكنولوجية ساهم في تقليص فاعلية الوسائط الاجتماعية التقليدية في تشكيل شخصية الطفل، أين باتت التطبيقات والمنصات الرقمية تؤدي أدوارًا تربوية بديلة، غالبًا ما تتجاوز سلطة الأسرة والمدرسة. لينتج بذلك ضعف في المرجعيات القيمية المباشرة، وتزايد في السلوكيات الفردانية والانفصال العاطفي داخل المحيط الأسري، وهو ما يشير طبعا إلى تفكك تدريجي في نماذج التنشئة المعهودة، ويدعو إلى مراجعة أطر التوجيه والتأطير التربوي بما ينسجم مع المعطيات الرقمية الراهنة.

تم التأكيد على أن التعامل مع البيئة الرقمية ينبغي أن يكون في إطار مقاربة تكاملية لا تنظر إليها كمجال تهديد فقط، بل كمجال يجب استيعابه وترشيده وتوجيهه، بما يعزز قدرة الأسرة على استعادة أدوارها دون إقصاء الفضاءات الرقمية. وتأسيساً على هذه النتائج، يجب تعزيز الوعي الرقمي الأسري بما يسمح بإدارة التفاعل مع الوسائط التكنولوجية بصورة واعية ومتوازنة. وكذا إعادة التفكير في الأطر التربوية الرسمية وغير الرسمية بما يضمن تربية متوازنة قادرة على التكيف مع التحولات المعاصرة دون الانسلاخ عن المرجعيات الاجتماعية الأصيلة.

الكلمات المفتاحية: وسائط تكنولوجية، الطفل، الأسرة، التنشئة الاجتماعية.

Abstract: This study investigates the profound impact of technological media on children's daily lives, with a particular focus on the transformations it has generated in family-based socialization. It examines the indirect effects of modern technology on intergenerational educational relationships by analyzing shifts in parental guidance and the diminishing scope of parental

*- المؤلف المرسل

authority in contrast to children's engagement with digital platforms. Findings reveal that the growing reliance on technological media has significantly weakened the role of traditional socialization structures in shaping children's values and behaviors. Digital applications increasingly assume educational functions that often surpass the influence of both family and school, leading to an erosion of direct value-based references, the emergence of more individualistic orientations, and a rise in emotional detachment within the household. These dynamics signal a progressive breakdown of traditional socialization models and emphasize the necessity of rethinking educational frameworks in ways that align with the realities of the digital age.

It was emphasized that dealing with the digital environment should be within the framework of an integrative approach that does not only view it as an area of threat, but also as an area that must be accommodated, rationalized, and directed, in order to enhance the ability of the family to regain its roles without excluding digital spaces. Based on these findings, family digital awareness should be strengthened to allow for the management of interaction with technological media in a conscious and balanced manner. As well as rethinking formal and informal educational frameworks in order to ensure a balanced education capable of adapting to contemporary transformations without deviating from authentic social references.

Keywords: Technological media, child, family, socialization.

مقدمة:

في سياق التحوّلات البنيوية التي تعصف بالمجتمعات الحديثة، تبرز الوسائط التكنولوجية بوصفها أكثر من مجرد أدوات للتواصل أو الترفيه، إذ تحوّلت إلى قوة اجتماعية فاعلة تُعيد تشكيل أنماط الحياة وهندسة البُنى الثقافية والقيمية. فقد أضحى الحضور الكثيف للوسائط الرقمية - بما في ذلك الهواتف الذكية، الألواح الإلكترونية، والتطبيقات التفاعلية — عنصراً محدداً في سيرورات التنشئة الاجتماعية، بما يفرض إعادة النظر في منظومة العلاقات التقليدية التي لطالما ارتكزت على التفاعل المباشر والسلطة الوالدية والمرجعية المؤسسية. وعليه بات من الصعب اختزال أثر الوسائط الرقمية في بعدها الأداتي فقط، وصار من الضروري فهمها كحقل رمزي وقيمي يُسهم في إعادة إنتاج الهويات وتوجيه السلوكيات وإعادة تعريف المرجعيات داخل الفضاء الأسري.

ينبع الاهتمام بهذه الإشكالية من ملاحظة واقعية مفادها أن التحولات الرقمية لم تقتصر على المجال الاتصالي أو التقني، بل تجاوزته إلى عمق البنية الأسرية، حيث أفرزت مظاهر جديدة للتوتر، وأضعفت سلطة الوالدين في التوجيه والضبط، وأدّت إلى تفكك نسبي للمرجعيات التربوية التقليدية، لصالح تأثيرات رقمية تتجاوز حدود النسيج الاجتماعي المحلي. وهذه التحولات تطرح

أمام الباحث في علم الاجتماع تحدياً مزدوجاً: فمن جهة، أصبح لزاماً تحليل الكيفية التي تعيد من خلالها الوسائط الرقمية صياغة العلاقة بين الطفل ومرجعياته الأسرية والتربوية؛ ومن جهة ثانية، ضرورة الكشف عن الأبعاد القيمية الجديدة التي تنبثق عن هذا التفاعل، والتي قد تُحدث قطيعة نسبية مع منظومات الضبط التقليدية.

على هذا الأساس تنطلق الدراسة من تساؤل رئيسي مفاده: إلى أي مدى تُعيد الوسائط الرقمية تشكيل أدوار التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة، وما انعكاسات ذلك على المرجعيات القيمية للأطفال؟

وينبثق عن هذا التساؤل الرئيسي تساؤلان فرعيان:

- كيف تغيّر الوسائط الرقمية أنماط التفاعل بين الطفل وأبويه؟
- ما أثر المحتوى الرقمي على بناء القيم والسلوك لدى الأطفال؟

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى:

- تحليل أثر الوسائط الرقمية في إعادة تشكيل أدوار التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة.
- الكشف عن طبيعة التغيرات التي طرأت على المرجعيات القيمية للأطفال في ظل الحضور الرقمي المكثف.
- إبراز حدود تأثير الأسرة مقارنة بتأثير الوسائط الرقمية في المجال التربوي والقيمي.

منهجية الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة المنهج الوصفي–التحليلي مرتكزة على قراءة نظرية تحليلية للظاهرة المدروسة، من خلال توظيف الأطر النظرية الحديثة في علم الاجتماع، بهدف تفكيك آليات تأثير الوسائط الرقمية في سيرورات التنشئة الاجتماعية. كما تم الاستناد إلى الأدبيات والدراسات السوسيولوجية المعاصرة التي تناولت موضوع الإعلام الرقمي والعلاقات الاجتماعية، لتدعيم التحليل وتفسير المعطيات النظرية ذات الصلة.

فرضيات الدراسة:

انطلاقاً من الإشكالية وتساؤلاتها، تم صياغة الفرضيات التالية:

- تسهم الوسائط الرقمية في إضعاف التفاعل المباشر بين الطفل وأسرته، بما يقلل من فاعلية الضبط الاجتماعي التقليدي.
- يؤدي الاستخدام المكثف للوسائط الرقمية إلى إنتاج مرجعيات قيمية جديدة لدى الأطفال، قد تتعارض مع المرجعيات التربوية التقليدية للأسرة والمدرسة.

أولا- الوسائط التكنولوجية:

1.مفهوم الوسائط التكنولوجية (Technological Media):

تشير الوسائط التكنولوجية إلى مجمل الأدوات والمنصات الرقمية التي تعتمد على تقنيات الاتصال الحديثة، والتي تتيح نقل وتبادل المعلومات والرموز والمعاني بين الأفراد والجماعات بشكل آني ومتعدد الأبعاد. وتشمل هذه الوسائط مختلف أدوات التكنولوجيا مثل: الهواتف الذكية، الحواسيب اللوحية، التلفاز الذكي، الإنترنت، منصات التواصل الاجتماعي وتطبيقات الفيديو والألعاب الرقمية، التي باتت تشكّل اليوم بيئة تفاعلية متكاملة تؤثر في مختلف مجالات الحياة اليومية خاصة في التنشئة الاجتماعية للأطفال.

وفي هذا السياق، تقدم العديد من الدراسات تعريفات دقيقة لهذا المفهوم:

كاستلز (Castells, 2009)، في تحليله للمجتمع الشبكي، عرّف الوسائط التكنولوجية بأنها: منظومات اتصال رقمية ذات بنية تفاعلية تتيح للأفراد إنتاج المحتوى، تقاسم المعلومات، والتفاعل اللحظي، مما يجعلها وسائط موجهة ثقافيًا تؤثر في أنماط التفكير والسلوك.

أما باكستر (Baxter, 2012)، في دراسته حول وسائط التنشئة، فيعرّفها بأنها: وسائط معتمدة على تقنيات رقمية، تقوم بوظائف إعلامية وترفيهية وتعليمية، وتعيد تشكيل العلاقات الاجتماعية ضمن السياقات العائلية والتربوية.

ووفقًا لتقرير صادر عن اليونيسيف (UNICEF, 2017) بشأن الأطفال في العصر الرقمي، فإن الوسائط التكنولوجية تُعرّف بأنها: منصات تكنولوجية أصبحت تشكّل جزءًا من البنية التحتية للطفولة الحديثة، وتؤثر في نمو الأطفال، تعلّمهم وتفاعلاتهم اليومية داخل الأسرة وخارجها (بوطرفة وعقابي، 2021).

موائمة مع ما تم ذكره فإن الوسائط التكنولوجية هي: مجموعة الوسائط المعتمدة على تقنيات الاتصال الحديثة التي تستخدمها الأسرة والأطفال في الحياة اليومية، وتشمل الهواتف الذكية، الأجهزة اللوحية، الحواسيب، وشبكات التواصل الاجتماعي، بوصفها أدوات ذات أثر تفاعلي مباشر وغير مباشر في عمليات التنشئة، بما في ذلك تشكيل القيم، تعديل السلوك وتوجيه التمثلات داخل الفضاء الأسري.

2.التطور التاريخي للوسائط التكنولوجية و انتشارها في الحياة الاجتماعية:

شهدت الوسائط التكنولوجية تطورًا تراكميًا ارتبط بتحولات عميقة في أنماط التواصل الإنساني، بدءًا من ظهور وسائط الإعلام التقليدي إلى سيادة الوسائط الرقمية التفاعلية، ما

جعلها دخيلاً مهمًا في الحياة الاجتماعية المعاصرة. إذ أن هذا التطور لم يكن تقنيًا فحسب، بل انطوى على تحولات رمزية ومسارات إعادة تشكيل للعلاقات والتفاعلات الاجتماعية.

في المرحلة الأولى، التي امتدت منذ منتصف القرن العشرين، تمثّل الحضور الأول للوسائط في الإعلام الجماهيري التقليدي (كالإذاعة والتلفزيون)، حيث كانت الرسائل تُبثّ باتجاه واحد، مع سيطرة مؤسسات الدولة أو الشركات الكبرى على المحتوى. وقد ساهمت هذه الوسائط في صناعة التمثلات الجماعية، دون أن تتجاوز دورها كوسائل للعرض أو التلقي المحدود.

أما التحول الحاسم فقد بدأ مع نهاية التسعينيات وبداية الألفية الثالثة، عندما ظهرت تقنيات الاتصال الرقمي، وبدأ الإنترنت في التغلغل داخل البيوت والمدارس، فاتحًا المجال أمام وسائط جديدة قائمة على التفاعلية والانتشار اللحظي للمعلومة (البراشدية، 2021). وتزامن هذا مع تطوير الهواتف المحمولة والحواسيب الشخصية، ما ساعد في دمج التكنولوجيا داخل أنماط الحياة اليومية، وخصوصًا في علاقات الأطفال والأسر بالتعلم الترفيه، والتنشئة.

في المرحلة المعاصرة، ومع تعميم الهواتف الذكية ومنصات التواصل الاجتماعي، أصبحت الوسائط التكنولوجية لا تنقل فقط المحتوى، بل تصنع الواقع الاجتماعي نفسه، إذ تسهم في إعادة تشكيل أنماط التفكير، والتمثلات القيمية، وطرق التعبير العاطفي والسلوكي داخل المجتمع. وتحوّلت من أدوات مكمّلة إلى فواعل ثقافية ذات تأثير فعال في مختلف المجالات بما فيها المجال الأسري والتربوي (البراشدية، 2021). وهذا التحول التاريخي عكس انتقال الوسائط من موقع التلقي إلى مركز التأثير التفاعلي، مما فرض إعادة نظر شاملة في منظومة التنشئة، وفي أدوار الفاعلين التقليديين كالأسرة والمدرسة، في ظل تنامي حضور وسائط تتجاوز الحدود المكانية والزمنية وتفرض سلطتها الرمزية من خلال التكرار والتشويق والمحتوى المُوجَّه (واكلي وجنان، 2019).

- **تأثير العقد الأخير (تقريبًا 2015-2025):** خلال العقد الأخير شهدنا تسارعًا نوعيًّا في بعدين متكاملين:

(1) تكثيف النفاذ الرقمي والاعتماد الحياتي على الأجهزة المحمولة؛

(2) ظهور آليات خوارزمية تُكثّف من تأثير المحتوى وتخصّصه على مقاس المتلقي.

من أمثلة العقد الأخير التي أثرت مباشرة في مسارات التنشئة ونمط العلاقة الأسرية نجد:

- **صعود منصات الفيديو القصير TikTok**وغيرها التي أنتجت أنماطًا استهلاكية سريعة للمحتوى مع آليات توصية تجعل المحتوى ينتشر بسرعة ويُعيد إنتاج نماذج سلوكية/ترفيهية تلقائية بين الأطفال والمراهقين (واكلي وجنان، 2019). ونمو هذه المنصات خلال العقد الأخير كان هائلًا—

فـ Tik Tokتجاوز عتبة المليار مستخدم نشط خلال السنوات الماضية، ما جعل تأثيره مجتمعيًا واسع النطاق.

- **تزايد وقت الشاشات لدى الأطفال:** خصوصًا خلال فترة إغلاق المدارس المرتبطة بجائحة كوفيد-19، حيث أظهرت دراسات ارتفاعًا ملموسًا في متوسط ساعات التعرض للشاشات (زيادات بمقدار ساعة إلى ساعتين يوميًا في مراحل مختلفة من الوباء)، وهو تحول ترك أثراً طويل الأمد في أنماط اللعب والتواصل والروتين الأسري.

- **الانتشار السريع لظاهرة الـ Kidfluencers (الأطفال المؤثرين):** على منصات مثل يوتيوب وتيك توك، حيث باتت بعض قنوات الأطفال تُنتج عوائد مالية وتعيد تشكيل صور القدوة والسلوكيات الاستهلاكية لدى جمهور أطفال واسع، مع آثار أخلاقية وتشريعية أثارتها دراسات وأوراق بحثية حديثة (حداد وعبد الناصر، 2021).

- **التسارع في التعلم عن بُعد واعتماد المنصات التعليمية:** تجربة التعليم خلال الجائحة كشفت عن قدرة الوسائط على استبدال أو مرافقة المدرسة بوظائف تربوية، لكنها أيضًا أكدت تفاوتات وصولية ومعرفية بين الأسر، كما أظهرت الحاجة إلى مؤطّرات تربوية جديدة لتوجيه الاستخدام التعليمي.

ويمكن قراءة هذه التحولات عبر تداخل ثلاثة محاور نظرية تكاملية:

- **نظرية التفاعل الرمزي:** تبرز كيف تُنتَج المعاني داخل التفاعلات اليومية؛ الوسائط الرقمية تزيد من وتيرة ونوع تلك التفاعلات فالمعاني المتعلقة بالذات والجماعة تتشكل الآن في ساحات رقمية سريعة (تعابير، ترندات، تحديات) ما يغيّر عملية بناء الذات لدى الطفل والمراهق.

- **نظرية الضبط الاجتماعي:** تشرح كيف تنظم المؤسسات (الأسرة، المدرسة، الدين) السلوك وتفرض معايير؛ تراجع قدرة هذه المؤسسات على الاحتكار الرمزي للمعلومة والقيم أمام تشتت المراجع الرقمية يضعف آليات الضبط التقليدية ويتيح بدائل قيمية أقل مركزية وأكثر تعددية.

- **نظريات العولمة والقيم:** تتيح هذه النظريات إطارًا لفهم التحولات القيمية الناتجة عن الوسائط التكنولوجية في ظل العولمة. يرى باومان أن المجتمعات المعاصرة تعيش حالة "سيولة" تجعل القيم والمعايير الاجتماعية أقل ثباتًا وأكثر قابلية للتغير والتفكك، وهو ما يتجلى في العالم الرقمي حيث تُعاد صياغة المرجعيات باستمرار وفقًا لموجات المحتوى السريع والترندات العابرة. أما جيدنز، فيطرح مفهوم "انفصال الزمان والمكان" أي أن التفاعلات لم تعد مرتبطة بسياقات مكانية أو زمنية محددة بل بات الفرد - خصوصًا الطفل والمراهق - يتنقل بين فضاءات رقمية متعددة تؤثر في هويته وقيمه لحظيًا وبلا قيود جغرافية (ربوح، 2022). وهكذا تصبح الوسائط التكنولوجية

حاضنة فعلية لهذا "العالم السائل"، حيث تُنتج قيمًا ومعايير جديدة عابرة للحدود، تعكس دينامية العولمة وتضاعف من تحديات الضبط الاجتماعي داخل الأسرة والمجتمع.

إن اتحاد هذا النطاق النظري مع دلائل العقد الأخير (انتشار الشبكات، منصات التوصية، كورونا، kidfluencers) يقدّم تفسيرًا متماسكًا لمشهد التنشئة المعاصرة، فالوسائط ليست مجرد قنوات نقل، بل ساحات تفاعل رمزي تولّد معايير ومحفزات سلوكية جديدة، وتعمل كآليات تفكيك/ إعادة تركيب للضبط الاجتماعي والهوية القيمية داخل الأسرة.

3.سمات الوسائط التكنولوجية:

- **التفاعلية وتعدد الاتجاهات:** بخلاف وسائط الاتصال التقليدية أحادية الاتجاه، تتسم الوسائط التكنولوجية الحديثة بقدرتها على توليد تفاعلات متزامنة بين المستخدمين، ما جعلها تُعيد توزيع الأدوار الاتصالية بين الفاعلين وتؤسس لعلاقات أفقية تتجاوز التسلسل الهرمي المعروف في عمليات التنشئة التقليدية. وهنا تتقاطع هذه الخاصية مع **"نظرية التفاعل الرمزي"** التي تؤكد أن المعاني تُبنى داخل التفاعل اليومي، والملاحظ أن الوسائط التكنولوجية تسمح بإنتاج معانٍ جديدة بشكل لحظي ومتجدد يعيد تشكيل تمثلات الأطفال واليافعين لذواتهم وعلاقاتهم (ناهي وصحراوي، 2022).

- **تفكيك السلطة التقليدية:** ساهمت هذه الوسائط في إضعاف المرجعيات التربوية والمعرفية المعهودة (كالأسرة، المدرسة، المؤسسات الدينية)، من خلال فتح المجال أمام مصادر متعددة ومتباينة للقيم والمعلومات، ما أدى إلى نوع من التسيّب والتشويش على أنظمة الضبط الاجتماعي. ويمكن قراءة ذلك في ضوء "نظرية الضبط الاجتماعي" التي ترى أن تراجع قوة المؤسسات التقليدية يؤدي إلى إضعاف قدرة المجتمع على فرض معاييره، وهو ما يفسر تنامي الفردانية وتزايد السلوكيات غير المنضبطة لدى الأطفال والمراهقين.

- **التأثير خارج الحدود المكانية والزمنية:** أتاحت هذه الوسائط إمكانية التواصل والتفاعل في أي وقت ومن أي مكان، ما جعل المجال الاجتماعي أكثر اتساعًا وتعقيدًا، وأفقد مؤسسات التنشئة التقليدية القدرة على مراقبة وتنظيم الزمن الاجتماعي الخاص بالأطفال واليافعين. وهو ما يتماشى مع ما أشار إليه أنتوني جيدنز حول "تحرر الزمن والمكان" في ظل العولمة، حيث بات التفاعل الاجتماعي يتجاوز القيود المكانية والزمنية، منتجًا فضاءات تواصلية عابرة للمحلي.

- **تشظي الهوية الاجتماعية:** ساهمت الوسائط التكنولوجية في إنتاج هويات افتراضية متعددة، ما أدى إلى تراجع وضوح الانتماءات التقليدية لدى الأفراد، وبخاصة الأطفال والمراهقين، الذين صاروا يتنقلون بين مرجعيات رمزية مختلفة ومتضاربة أحيانًا (ناهي وصحراوي، 2022). وهو ما

يعكس ما طرحه زيغمونت باومان حول "الهوية السائلة" التي تتسم بالمرونة والهشاشة في مجتمعات الحداثة السائلة، التي تصبح فيها الهوية مشروعًا دائم التغير أكثر من كونها معطى ثابتًا.

- **إعادة تشكيل العلاقات الأسرية:** أسهم الاستخدام المفرط للوسائط الرقمية في تغيير طبيعة العلاقات داخل الأسرة حيث حوّل بعض الأنشطة الجماعية إلى تجارب فردية معزولة، وأضعف التواصل الوجداني لصالح تفاعلات رقمية قد لا تُراعي الخصوصيات أبداً. ويمكن تفسير هذه الظاهرة من خلال منظور التفاعل الرمزي أيضاً خاصة وأن المعاني المشتركة التي كانت تُبنى في الفضاء الأسري باتت تُستبدل بمعانٍ مشتتة تُبنى داخل الفضاءات الرقمية، ما أضعف **"الإطار الرمزي"** الذي كان يضبط العلاقات الأسرية.

- **إنتاج أنماط جديدة من التمثلات القيمية:** تعمل الوسائط التكنولوجية على بث محتوى يُعيد تشكيل إدراك الأطفال والمراهقين لما هو مقبول أو غير مقبول اجتماعيًا، ما جعلها فاعلًا مباشرًا في تكوين القيم وتعديل السلوك (حداد وعبد الناصر، 2021). دون الحاجة إلى وساطة الأطر التقليدية. وهو ما يدعم فكرة أن الوسائط التكنولوجية أصبحت فاعلاً اجتماعياً يعيد إنتاج المرجعيات القيمية والمعيارية، وهو طرح تؤكده أدبيات الضبط الاجتماعي التي ترى أن ضعف المؤسسات التقليدية يفسح المجال أمام بدائل قيمية جديدة.

- **المرونة والتكيّف مع التحولات الاجتماعية:** تتميز هذه الوسائط بقدرتها على مواكبة التغيرات الاجتماعية والتكنولوجية بسرعة، ما جعلها أكثر جاذبية للأجيال الصاعدة، ومنحها قدرة على التغلغل في تفاصيل الحياة اليومية بشكل يفوق الوسائط التقليدية (بزراوي وآخرون، 2021). وهذا يعكس ما ذهب إليه جيدنز وباومان معاً حول الطابع السائل للمجتمع المعاصر، والذي تكون فيه المؤسسات الاجتماعية في حالة سيولة دائمة، تجد من خلالها الوسائط التكنولوجية مكانتها كمحرك أساسي لهذه الديناميات.

وبالنظر إلى هذه السمات مجتمعة، يتضح أن الوسائط التكنولوجية ليست مجرد أدوات للاتصال أو الترفيه، بل هي بنيات ثقافية واجتماعية فاعلة تُعيد إنتاج النسيج القيمي والمعياري داخل المجتمعات، وتفرض تحديات سوسيولوجية عميقة على أنماط التنشئة الاجتماعية التقليدية، بما ينسجم مع ما تؤكد عليه مختلف الأطر النظرية من التحولات الرمزية والقيمية في ظل الحداثة الرقمية والعولمة.

ثانيا- التنشئة الاجتماعية

1.مفهوم التنشئة الاجتماعية:

تُعد التنشئة الاجتماعية من المفاهيم المؤسسة في علم الاجتماع، حيث تُشير إلى العملية التي من خلالها يتحول الكائن الإنساني إلى فرد اجتماعي مندمج في محيطه، قادر على التفاعل ضمن نسق ثقافي محدد. وهي بذلك ليست مجرد عملية تعلم لسلوكيات جاهزة، بل سيرورة معقّدة، تراكمية، وتفاعلية، تُسهم في تشكيل الهوية الذاتية والاجتماعية، وتُعيد إنتاج البنية الثقافية عبر الأجيال (حداد وعبد الناصر، 2021).

وقد عرّفها عالم الاجتماع الفرنسي Émile Durkheim بوصفها الآلية التي من خلالها يغرس المجتمع في الفرد أنماطه الجماعية، ما يُبرز الطابع الجمعي والسلطوي لهذا الفعل الاجتماعي. بينما اعتبرها" Talcott Parsons عملية تكامل وظيفي" تمكّن النسق الاجتماعي من ضمان الاستمرارية، عبر تثبيت القيم والمعايير لدى الأفراد (شوية ومداح، 2019).

هذا وتتجلى أهمية التنشئة في كونها حلقة وصل بين الطبيعة والثقافة، بين الذات والمجتمع، وهي التي تُكسب الفرد الكفاءات المعيارية للعيش المشترك، ومن ثم فهي الوسيلة التي يعاد من خلالها إنتاج النظام الاجتماعي وترسيخ أدواره.

2.أبعاد التنشئة الاجتماعية (طبشوش ومزعاش، 2022):

- **البعد المعرفي-الإدراكي:** يتمثل في إدماج الفرد في منظومة المعاني المشتركة، وتكوينه الذهني عبر اللغة، الرموز، والعقائد الفكرية السائدة. وهذا يشمل ليس فقط التعليم الرسمي، بل أيضًا المعرفة الضمنية المتداولة.
- **البعد القيمي-الأخلاقي**: يُمثل محورًا مركزيًا، أين يتعلم الفرد من خلاله ما هو مقبول ومرفوض، ويتبنى المرجعيات الأخلاقية والثقافية للمجتمع ما يؤسس لضمير جمعي داخلي.
- **البعد العاطفي-الوجداني:** يُسهم في بناء التوازن النفسي والانفعالي، من خلال اكتساب مشاعر الثقة، الانتماء، الحب، والخوف، وهي مكونات أساسية في تشكّل شخصية الفرد.
- **البعد الهوياتي:** تتشكّل من خلاله هوية الفرد الاجتماعية، سواء تعلق الأمر بالانتماء الديني، الثقافي، اللغوي، أو الطبقي، وهو ما يجعله واعيًا بمكانته في البنية المجتمعية.

3.المرجعيات التقليدية للتنشئة الاجتماعية:

تُشير المرجعيات التقليدية للتنشئة الاجتماعية إلى المؤسسات والسياقات الثقافية والاجتماعية التي اضطلعت تاريخيًا بأدوار مركزية في نقل القيم، وتشكيل أنماط السلوك، وضبط الأفراد ضمن نسق مجتمعي محدد. وقد مثلت هذه المرجعيات - في المجتمعات العربية بشكل خاص - مرتكزًا في بناء الشخصية الاجتماعية، وضمان الاستمرارية الثقافية، أين امتزجت فيها عناصر الضبط الرمزي، والإشراف الوجداني، والتلقين القيمي.

وتتمثل أبرز هذه المرجعيات في: الأسرة، المدرسة، الجماعة الرفاقية، والمؤسسات الدينية والثقافية التقليدية. غير أن فعاليتها لا تكمن فقط في بنيتها الوظيفية، بل في قدرتها على احتكار مشروعية التأثير على الأفراد، ضمن فضاء اجتماعي لم يكن يعاني من تشظي الوسائط أو تضخم الفضاء الرقمي كما هو الحال اليوم.

- **الأسرة:** في المجتمعات التقليدية، كانت الأسرة تُعد النواة الأساسية للتنشئة، تمارس دورها من خلال التوجيه المباشر، الانغماس العاطفي، والتنشئة بالتكرار والقدوة. وكانت سلطة الأب أو الأم في هذا السياق تُشكّل مرجعية قيمية عليا، مستندة إلى إرث ثقافي وأخلاقي جماعي (تريكي، 2017). غير أن هذه السلطة بدأت تتآكل مع التحولات الاجتماعية والاقتصادية، وتزايد الانكشاف التواصلي للطفل، ما أدى إلى تحوّل الأسرة من مرجع وحيد إلى مجرد وسيط جزئي ضمن شبكة أوسع من المؤثرات.

- **المدرسة:** المدرسة كانت - ولا تزال- مؤسسة أساسية في نقل المعارف الرسمية، وتكريس الانضباط الاجتماعي عبر المنهاج والضبط المدرسي. إلا أن تطور التكنولوجيا ووسائل الاتصال خلق بيئات معرفية موازية تتجاوز المدرسة من حيث التأثير، السرعة، والانفتاح، مما أفقد المدرسة قدرتها على احتكار المرجعية التعليمية والتقويمية. ووضع المشروع المدرسي في أزمة مصداقية، خاصة في ظل فجوة رقمية بين نسق التعليم التقليدي والمحيط المعرفي المفتوح للأطفال واليافعين (بوالشرش، 2019).

- **الجماعة الرفاقية:** كانت جماعات الأقران مصدرًا أساسيًا للتفاعل الاجتماعي، وتشكيل الهوية والانتماء، ومجالًا للتفاوض بين الأدوار والسلوكيات. غير أن وسائط التواصل الحديثة أفرزت جماعات افتراضية عابرة للمكان والهويات القريبة، ما نجم عنه تآكل في الدور التربوي للجماعة الرفاقية الواقعية، وتحول الطفل نحو أنماط تفاعل جديدة لا تُخضع السلوك للضبط المباشر، بل تسمح بتجريب هويات متعددة ضمن بيئات مفتوحة وغير مؤطرة.

- **المؤسسات الدينية والثقافية:** مثّلت المؤسسات الدينية والثقافية - في سياقات تقليدية - مرجعيات عليا للتنشئة تُرسّخ القيم الروحية والاجتماعية من خلال الخطب، الحلقات، والمناسبات الجماعية (الزهراني، 2014). غير أن سيادة الوسائط التكنولوجية أضعفت هذه المرجعيات، من حيث نفوذها، وجاذبيتها، وانتظامها، فأصبح الفرد ينتقي مصادره القيمية بحرية خارج سلطة هذه المؤسسات، ما أحدث انزياحًا في أنماط التلقي القيمي لصالح نماذج أكثر تشظيًا وذاتية.

ثالثا- التفاعل بين الوسائط التكنولوجية والتنشئة التقليدية:

شهدت العقود الأخيرة تصاعدًا غير مسبوق في تأثير الوسائط التكنولوجية داخل الفضاء الاجتماعي، ما أدى إلى إعادة تشكيل علاقات التنشئة الاجتماعية، وفرض أنماط تواصل جديدة غيّرت من آليات التوجيه، ضبط القيم، صياغة السلوك. وتكمن أهمية هذا التحول في طبيعة التفاعل المركب بين الوسائط التكنولوجية والبُنى التقليدية للتنشئة وعلى رأسها الأسرة، باعتبارها المؤسسة الأولى التي تتولى مهام التطبيع الاجتماعي. فهذا التفاعل لم يكن تكامليًا بالضرورة، بل حمل في طياته أبعادًا تعويضية أحيانًا وتنافرية أحيانًا أخرى، تُظهرها بوضوح التغيرات التالية:

- **تراجع دور الأسرة أمام تأثير الوسائط:** شكّلت الأسرة التقليدية لبّ العملية التنشئية الأولى، من خلال دورها في ترسيخ الضبط التربوي ونقل القيم والمعايير، ومراقبة السلوك وتوجيهه ضمن بيئة تفاعلية مباشرة. غير أن تغلغل الوسائط التكنولوجية - وخاصة الهواتف الذكية والمنصات الرقمية – قد أدى إلى ما يُشبه "فقدان الاحتكار التنشئي" من طرف الأسرة، إذ أصبح الطفل يتلقى محتواه القيمي والسلوكي من مصادر متعددة لا تخضع بالضرورة لرقابة الأسرة أو المدرسة (لعزازقة وآخرون، 2021). وهنا قد ساهمت هذه الدينامية الجديدة في تقليص سلطة الأسرة داخل المجال التربوي، وتحجيم فاعلية أساليب التوجيه المباشرة، حيث تم تعويضها بمؤثرات رقمية أكثر جذبًا وإقناعًا، بفضل ما توفره من محتوى تفاعلي وسرعة في الوصول والتكرار، ما يجعل الطفل أكثر قابلية للتطبيع الرقمي من التنشئة التقليدية.

- **تحول مصادر القيم والسلوك من التفاعل الواقعي إلى الرقمي:** من أبرز مظاهر التفاعل المزدوج بين الوسائط والتنشئة هو الانزياح التدريجي لمصادر اكتساب القيم من الفضاءات الواقعية (الأسرة، المدرسة، المحيط الاجتماعي) نحو بيئات رقمية تُنتج وتُعيد إنتاج تصورات جديدة عن الهوية، الحرية، النجاح، والعلاقات. فقد باتت التطبيقات والمنصات الافتراضية تلعب دورًا شبه مرجعي في تشكيل أنماط التفكير والسلوك لدى الأفراد خصوصًا في المراحل العمرية المبكرة.

هذا التحول ينطوي على ما وصفه بعض الباحثين بـ"خصخصة المرجعية القيمية"، حيث يختار الطفل أو المراهق مصادره المعرفية والتربوية بمعزل عن رقابة الوالدين، وهو ما يؤدي إلى تآكل المرجعيات الجماعية، ونمو أشكال من القيم الهجينة غير المتجانسة. كما يؤدي إلى تعقيد أدوار التنشئة التقليدية التي تجد نفسها عاجزة عن مسايرة المحتوى الرقمي متعدد المرجعيات والسياقات (لبصير ولبيض، 2021).

- **ضعف الرقابة الأسرية وتبدل العلاقة بين الأجيال:** أسفر هذا المشهد عن تحولات واضحة في بنية العلاقة بين الأجيال داخل الأسرة، إذ لم تعد السلطة الأبوية أو سلطة الكبار قائمة على التوجيه أو المعرفة، بل أضحت تُواجه بتفوق رقمي لدى الأطفال والمراهقين، الذين أصبحوا أكثر إلمامًا بالتكنولوجيا، وأكثر تحررًا من الإرشاد التقليدي. وقد أدى هذا إلى ضعف أدوات الرقابة الاجتماعية التي كانت تعتمد على المتابعة المباشرة والتفاعل اليومي، مقابل انفتاح دائم على فضاءات لا يمكن للأسرة ضبطها أو مراقبتها بدقة (ربوح، 2022). كما أفرز هذا الوضع حالات من التفكك الرمزي، والذي تعاني بسببه الأسرة من تآكل سلطتها التواصلية، وظهور ما يُسمى "الانفصال التواصلي" بين الأجيال، وهو انفصال لا يُقاس فقط بعدم الفهم المتبادل، بل بانهيار منظومة القيم المشتركة التي كانت توحّد الأفراد داخل الكيان الأسري.

من هذا المنطلق يُبرز التفاعل بين الوسائط التكنولوجية والتنشئة التقليدية ملامح صراع ناعم بين مرجعيتين: إحداهما واقعية وجماعية، والأخرى رقمية وفردانية. وهذا الصراع لا يتجلى فقط في تراجع أدوار، بل في تحوّل نماذج اجتماعية كاملة تستدعي إعادة نظر جذرية في أدوات التنشئة، وفي سبل دمج الوسائط الحديثة ضمن مقاربات تربوية تواكب التحولات بدل أن تبقى رهينة ردود الفعل والدفاع عن نموذج تقليدي لم يعد قادرًا على احتواء تعقيدات الحاضر.

رابعا- انعكاسات الحضور الرقمي على بناء شخصية الطفل:

أدى الحضور المكثف للوسائط الرقمية في الحياة اليومية إلى إحداث تحولات ملموسة في بنية الشخصية الطفولية خاصة في مراحل التكوين الأولى التي تتسم بقابلية عالية للتأثر والتطبع. فلم يعد بناء شخصية الطفل قائمًا فقط على التفاعل المباشر مع الأسرة والمدرسة، بل أصبح خاضعًا لمؤثرات رقمية متنوعة، ما أفرز انعكاسات عميقة على مستويات متعددة من النمو النفسي والاجتماعي. وتظهر هذه الانعكاسات بشكل خاص في ثلاثة مستويات مترابطة:

- **الفردانية والانغلاق:** ساهمت الوسائط الرقمية في تعزيز سلوكيات فردانية لدى الطفل، حيث باتت تجاربه الاجتماعية تتم من خلال شاشات وأجهزة رقمية، غالبًا ما تُدار بطريقة أحادية ومنعزلة. فبدلًا من اللعب الجماعي أو التفاعل المباشر مع المحيط العائلي، أصبح الطفل أكثر ميلاً

إلى الانخراط في عوالم افتراضية مغلقة توفر له متعة فورية ولكنها لا تعزز بالضرورة مهارات التواصل الواقعي أو الإحساس بالانتماء (سوالمية وحبيرش، 2019).

هذا الميل نحو الفردانية يبرز تحولًا في نمط التفاعل الاجتماعي، من تفاعل جماعي مباشر إلى ممارسة شخصية ضمن فضاء افتراضي يؤدي في كثير من الحالات إلى نوع من الانغلاق الاجتماعي، وضعف القدرة على التفاوض والتفاعل مع الآخر، وهي عناصر أساسية في بناء شخصية متوازنة اجتماعيًا.

- **ضعف الروابط العاطفية داخل الأسرة**: أحد الآثار البارزة للحضور الرقمي يتمثل في تراجع جودة التفاعل العاطفي بين الطفل وأفراد أسرته. فالاستخدام المكثف للأجهزة الرقمية خلق نوعًا من الانفصال العاطفي داخل الفضاء الأسري، أين يتقلص زمن التواصل المباشر وتتراجع فرص الحوار الوجداني بين الآباء والأبناء. وبدلًا من أن يكون الوقت العائلي فرصة لتعزيز الترابط والانتماء، أصبح يُختزل في وجود جسدي غير متفاعل تُهيمن عليه الانشغالات الرقمية المتزامنة (ربوح، 2022).

هذا الضعف في الروابط العاطفية يُنتج ما يمكن تسميته بـ**"الفراغ الانفعالي"** داخل الأسرة، ويؤثر على نمو الطفل من الناحية النفسية، إذ يحرم الطفل من مصادر الدعم والتقدير والاحتواء التي يحتاجها في مراحل التكوين الأولى لبناء الثقة بالنفس والتوازن الانفعالي.

- **تشتت المرجعيات القيمية:** بفعل التعدد غير المنضبط لمصادر التأثير الرقمي، أصبح الطفل معرضًا لتدفق مستمر من الرسائل والمضامين التي تحمل أنماطًا قيمية متباينة، وأحيانًا متناقضة. هذا التعدد نفسه يُضعف المرجعيات التربوية الثابتة التي كانت الأسرة والمدرسة تقوم على ترسيخها، ويجعل من الصعب على الطفل أن يُكوّن تصورًا واضحًا ومستقرًا عما هو مقبول أو مرفوض سلوكيًا وأخلاقيًا (ربوح، 2022).

وتشتت المرجعيات القيمية لا يعني فقط تنوع المصادر، بل يشير أيضا إلى غياب النسق الموحد الذي يساعد الطفل على بناء منظومته الأخلاقية بشكل تدريجي ومتسق. ونتيجة لذلك، تصبح شخصية الطفل أكثر عرضة للتذبذب وضعف الالتزام، وصعوبة بناء رؤية واضحة للذات وللآخرين في المجتمع.

تكشف هذه الانعكاسات مجتمعة أن الحضور الرقمي لا يقتصر تأثيره على تغيير أنماط الترفيه أو التعلم، بل يمتد إلى قلب البنية النفسية والاجتماعية للطفل، مما يستدعي تدخلات واعية لإعادة التوازن بين التفاعل الرقمي والتنشئة الواقعية. فشخصية الطفل لا تنمو في الفراغ،

وإنما في سياقات اجتماعية وثقافية معقدة، يجب أن تُراعى فيها الأبعاد العاطفية والقيمية جنبًا إلى جنب مع المستجدات التكنولوجية.

خاتمة:

في الختام تكشف هذه الدراسة عن الأثر البنيوي العميق للوسائط التكنولوجية في خلخلة أنماط التنشئة التقليدية داخل الفضاء الأسري. وقد أظهرت المعطيات النظرية أن هذه الوسائط لم تعد مجرد أدوات مساعدة، بل تحوّلت إلى فاعل اجتماعي موازٍ استطاع أن يتسلل إلى صميم العلاقة التربوية بين الأجيال، مؤثراً في أساليب التوجيه وفي آليات الضبط الاجتماعي على حد سواء.

وبالنظر إلى الفرضيات التي انطلقت منها الدراسة، يمكن القول إن النتائج أكدت بدرجة كبيرة الفرضية الأولى، والمتمثلة في أن الاستخدام المكثف للوسائط الرقمية يساهم في إضعاف التفاعل المباشر بين الطفل وأسرته، حيث أظهر التحليل تراجع فعالية السلطة الوالدية لصالح المرجعيات الرقمية. كما أثبتت النتائج كذلك الفرضية الثانية، موضحة كيف أن هذه الوسائط أدت بالفعل إلى إنتاج مرجعيات قيمية بديلة عند الأطفال، تتسم بالانفتاح والسيولة، وتتعارض بالمقابل مع المرجعيات التربوية التقليدية التي اعتادت الأسرة والمدرسة ترسيخها.

وعليه، فإن هذه التحولات لا تقتصر على مستوى الأدوات أو الوسائل، بل تمتد إلى إعادة تشكيل منطق التنشئة ذاته، بما يجعل من الوسائط التكنولوجية فاعلاً تربوياً موازياً لا يمكن إغفاله. وعليه تم التأكيد على أن التعامل مع البيئة الرقمية ينبغي أن يكون في إطار مقاربة تكاملية لا تنظر إليها كمجال تهديد فقط، بل كمجال يجب استيعابه وترشيده وتوجيهه، بما يعزز قدرة الأسرة على استعادة أدوارها دون إقصاء الفضاءات الرقمية.

وتأسيساً على هذه النتائج، توصي الدراسة بضرورة:

- تعزيز الوعي الرقمي الأسري بما يسمح بإدارة التفاعل مع الوسائط التكنولوجية بصورة واعية ومتوازنة.
- إدماج مقاربات تربوية مرنة قادرة على التوفيق بين الموروث القيمي ومتطلبات البيئة الرقمية الراهنة.
- إعادة التفكير في الأطر التربوية الرسمية وغير الرسمية بما يضمن تربية متوازنة قادرة على التكيف مع التحولات المعاصرة دون الانسلاخ عن المرجعيات الاجتماعية الأصيلة.

قائمة المراجع:

البراشدية، حفيظة .(2021) .مستويات الإدمان على الهواتف الذكية لدى طلبة جامعة السلطان قابوس وعلاقته ببعض المتغيرات .دراسات نفسية وتربوية، 14(1)، .260–237

بزراوي، نور الهدى، بركاني، سهام، بوطرطاق، أمينة، وعبد اللاوي، عبد الحق .(2021) .علاقة الإدمان على الأنترنت بالشعور بالسعادة لدى الطالب الجامعي: دراسة ميدانية على عينة من طلبة علم النفس بجامعة تلمسان .مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي، 8.(3)

بوالشرش، نور الدين .(2019) .انعكاسات شبكات التواصل الاجتماعي على منظومة القيم الأسرية .مجلة دراسات في علوم الإنسان والمجتمع، 2(4)، .24–10

بوطرفة، عواطف، وعقابي، أمال .(2021) .بصمة الرقمنة على واجهة التعليم العالي والبحث العلمي في الجزائر .مجلة أبحاث، 6(1)، .442–427

تريكي، حسان .(2017) .تغير القيم الأسرية في المجتمع الجزائري المعاصر: دراسة تحليلية .مجلة الرواق، 0(9)، .102–77

حدّاد، فطيمة، وعبد الناصر، عزوز .(2021) .التغير القيمي في التنشئة الاجتماعية للأسرة الجزائرية .مجلة المعيار، 25(58)، .725–709

ربّوح، لطيفة. .(2022) العالم الافتراضي بين حتمية المسايرة وفخ الإدمان: دراسة نفس عصبية لعوامل ومؤثرات الإدمان التكنولوجي على الطفل .مجلة البحوث التربوية والتعليمية، 11(2)، 143–164.

الزهراني، نورة مسفر .(2014) .القيم الأسرية في ضوء متغيرات العصر وتأثيرها على اتجاهات الشباب الجامعي نحو قضاء وقت الفراغ .المجلة العلمية لكلية التربية النوعية بجامعة الباحة، (1).

سوالمية، عبد الرحمان، وحبيرش، نجاة .(2019) .الإدمان على الإنترنت: العوامل وسبل الوقاية . مجلة الصحة العقلية والعلوم العصبية، 0(2)، .98–86

شوية، سيف الإسلام، ومداح، حمدان .(2019) .القيم الأسرية بين التغير والثبات في المدن الجديدة: دراسة حالة لعينة من قاطني مدينة ذراع الريش بعنابة .مجلة التميز الفكري، 0(3)، 105–124.

طبشوش، نسيمة، ومزعاش، رياض .(2022) .منصة نتفليكس وأثرها على القيم الأسرية .مجلة الرسالة للدراسات الإعلامية، 6(4)، .61–49

لبصير، فطيمة، ولبيض، ليندة .(2021) .المخدرات الرقمية بين الحقيقة العلمية والنظرة القانونية .مجلة للبحوث والدراسات، 7(2)، .68–57

لعزازقة، حمزة، حنيفي، إيمان، بن قينة، نسرين، وأبو حفص، منير .(2021) .دور المخططات المعرفية اللاتكيفية المبكرة في ظهور الإدمان على الأنترنت .مجلة دراسات نفسية، 12.(1)

ناهي، مراد، وصحراوي، نادية .(2022) .الإدمان على شبكات التواصل الاجتماعي: الفايسبوك نموذجاً .مجلة الأسرة والمجتمع، 10.(2)

واكلي آيت، مجبر، وجنان، بديعة .(2019) .علاقة الإدمان على مواقع التواصل الاجتماعي بظهور اضطرابات سلوكية لدى المراهق: السلوك العدواني نموذجاً .مجلة الصحة العقلية والعلوم العصبية، 0(2)، .48–33